سلسلة القصص الهادف للأطفال (٢)

السفينة والعواصف

تأليف

عبد الحميد ضحا

مبرعون
للنشر والتوزيع
نحو أدب راقٍ

العصفوران جنى وشادي

السفينة والعواصف

نَهْرٌ لا يَجِفُّ

الإخراج الفني: محمود عبد الفتاح

الغلاف والرسوم: مصطفى الشريف

العصفوران جنى وشادي

يَعيش العصفورانِ الصغيرانِ: شــادي وجنى، مع والدَيْهما في عُشٍّ جميل، يَلْهُوَانِ ويَلعبانِ حَوْلَه، ويُحَلِّقان تحت أعين والدَيْهما.

تُوصِيهمــا أمُّهمــا قبل أن تذهب ألَّا يَخرُجا خــارجَ العُشِّ مهما حدث حتى تعــود، ويؤكِّد عليهما الوالد أنهما لو خَرَجــا وَحدَهما، فلن يَعرِفا

الأعداء من الأصدقاء؛ فما زالت سِنُّهما صغيرةً.

يذهب الأَبَوانِ كعادتهما صباحًا لِجَلْبِ ما يَرزُقُهما الله به.

يلعب العصفورانِ في العُشِّ الصغير، حتى شَعَر شادي بالْمَلَل، فقال لجنى: لقد مَلِلْتُ من اللَّعِب في هذا العُشِّ الصغير؛ لماذا لا نلعب خارجَ العُشِّ؟

جنى: أتريد أن نعصيَ أَمْرَ والدَيْنا؟

شادي: لا؛ ولكنَّ الجوَّ رائع في الخارج؛ فلِمَ نلعب في الضِّيق وأمامَنا الفضاء الرَّحْبُ؟!

جنى: خوفًا من الأعداء يا شادي؛ فماذا نفعل إذا قابَلَنا أحدُهم؟

شادي: أيُّ أعداء سيأتون إلينا هنا؟! إن أمَّنا تخاف علينا كثيرًا.

جنى: لو علما أننا خالفنا أمرهما فسيغضبانِ منا.

شادي: سنلهو ونحلِّق حول العُشِّ فقط.

جنى: يمكِنُ أن نبتعِدَ فنَتُوهَ؛ فالشَّجَرُ يُشبِهُ بعضُه بعضًا.

شادي: سنحلِّقُ لأعلى فقط، فتظَلُّ شجرةُ عُشِّنا أسفلَ منا.

جنى بتردُّد: لو غَضِبَ أبوانا، تتحمَّلُ أنت العواقب.

يَفرَح شادي بموافقة جنى فيرفع صوته فرِحًا: هيَّا لنحلِّق في السماء.

جنى: هيَّا نتسابق لنرى مَن الأَسْرَعُ؟

يتسابقان بسرعة كبيرة إلى أعلى فَرِحَيْنِ حتى يصلا إلى ارتفاع كبير.

تتوقَّف جنى وتنادي شادي: كفى يا شادي؛ نكاد نقترب من السَّحاب، هيَّا لنعود.

يَنظُـران إلى أسـفلَ، فيجدان الشـجر صغيرًا جدًّا، فـلا يَدْرِيان أين شجرة العُشِّ؟

تبكي جنى قائلة: ألم أحذِّرْكَ؟ لقد تُهْنا عن عُشِّنا.

يحاول شادي أن يُظهر الثقة بنفسه: لا تقلقي يا جنى، سنسأل حتى نصل إليها.

جنى مستمِرَّةٌ في البكاء: ربما من نسأله يكون عدوًّا يغرِّر بنا ليأكلَنا!

شـادي: سـنَنزلُ بحَذَر، ولن نأمن لأحـد، ونقف أعلى الشـجرة في استعداد للتحليق.

جنـى: قالت أمُّنا: إذا وقعنا في مشـكلة نلجأ إلى الله.. هيَّا ندعو الله حتى يُنجِّيَنا ويَرُدَّنا إلى أَبَوَيْنا.

يَدْعُوَانِ الله ثم ينزلان على أعلى غُصْنٍ في الشـجرة، فيَجِدانِ أسفلَها الثَّعْلَبَ المكَّار – وهما لا يَعْرِفانِه – مسـتنِدًا إلى الشـجرة، وقد تَضَوَّر جُوعًا.

ينادي عليه شادي: يا عَمُّ، هل رأيتَ شجرةً على أحد أغصانها عُشٌّ؟

يَفرَح الثَّعلبُ المكَّار بالفَرِيسة السَّهلة؛ فقد فَهِم أنهما تائهانِ:

مرحبًا أَيُّها العصفورانِ الجميلان.. إن الشجر مليءٌ بالأعشاش؛ ولكن لا تَقْلَقـا، لـن أَترككما حتى أَدُلَّكما على عُشِّـكما الجميـل؛ فأنا أَعرِفُها كلَّها.. أليس عُشُّكما صغيرًا؟

تُجِيبُه جنى: بلى يا عَمُّ.

يبتسم الثعلب بِمَكْرٍ: جميلٌ سأعرِفُه حَتْمًا.. أليس ذلك العُشُّ الجميلُ تَعِيشان فيه مع والدَيْكما، فيذهبانِ صباحًا ليأتيا لكما بالطَّعام؟

شادي: بلى يا عمُّ.

الثعلـب: لقـد عَرَفتُه وعرفـتُ والدَيْكما.. إنهما سـيَعودانِ بعد قليل، وسيَعْبُرانِ من هنا، فانتظرا لتذهبا معهما.

يَفرَح العصفورانِ ويَشكُرانِ الثعلب.

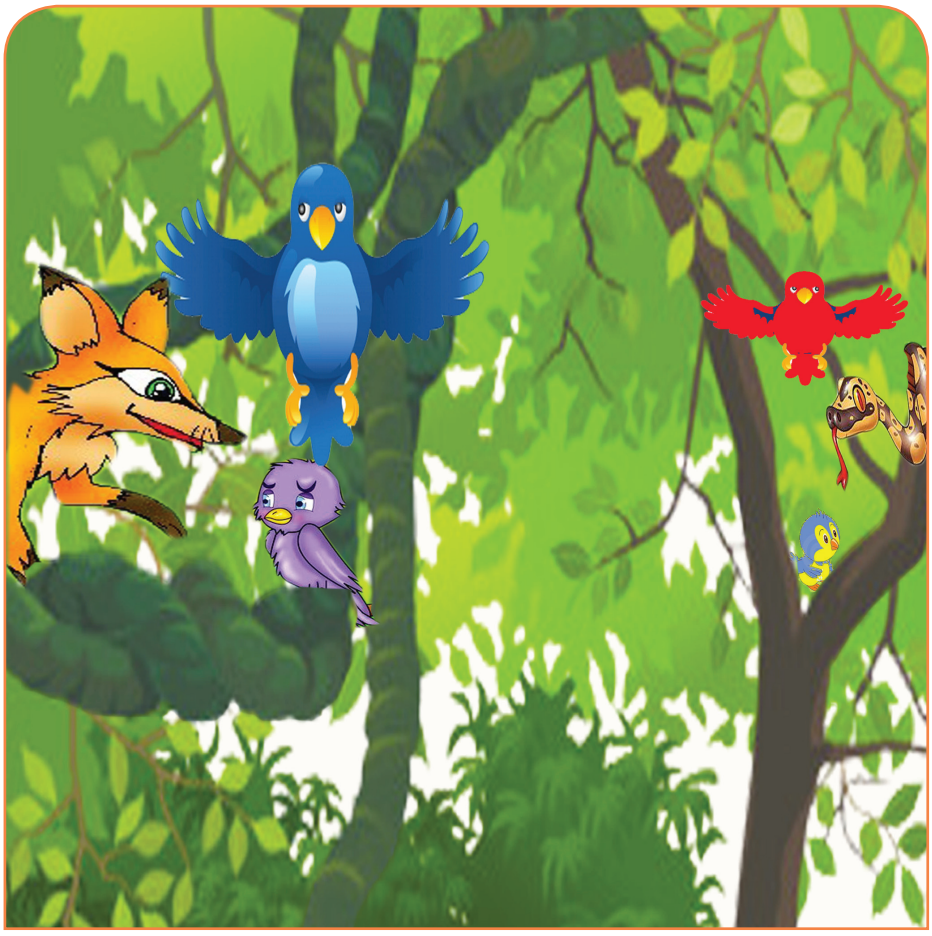

يســتطرد الثعلــب: إن والدكمــا صاحــبُ فَضْلٍ علــيَّ؛ فإنه عصفور مُحْسِنٌ خَيِّر.

تسأله جنى بفرح: ماذا فعل والدي معك يا عَمُّ؟

الثعلب: كلَّ يوم عند عودته بالطعام، يتصدَّق عليَّ ببعضِه، فيُطعِمُني؛ فإنه يَعرِف أني فقيرٌ مِسكين.

ترتسم الابتســامة على وجه العصفورين الجميلين ثم يسأله شادي: كيف يُطعِمُك يا عمُّ؟

الثعلـب المكَّار: مثلما يُطعِمُكمـا.. يَضَع ما يتصدَّق به عليَّ في فَمِه، ثم يَضَعُه في فَمِي، وإني أَنتظِرُ عَوْدَتَه ليُطعِمَني.

يُجِيبان معًا مسرورَيْنِ: سننتظر معك يا عمُّ.

– ولكن أيها العصفورانِ الجميلان، إني جائع جدًّا، وبجواركما بعضُ الطَّلْعِ الصغير، يُمكِنُكما حَمْلُه في فَمَيْكُما، وتَنزِلان معًا لتُطعماني كما يفعل أبوكما معي.

كان الثُّعبانُ يتابع الموقف، ويقترب منهما دون أن يَشعُرا ليَلْتَهِمَهما؛ ولكن الثعلب قد أفسد خُطَّتَه.

قال الثعبان: انتظرا أيها العصفوران الصغيران، سأنزل إليه ببعض الطَّلع؛ فإنه صديقي، ولا بدَّ أن أسـاعده.. ثم أخذا ينظران هو والثعلب إلى بعضهما بعضًا بنظرات غَضَبٍ.

ينـزل الثعبـان فيُخاطـب الثعلـب بصوت غاضـبٍ دون أن يَسـمَع العصفوران: تريد أن تُفسِد خُطَّتي؟!

يَرُدُّ الثعلب بغضب: بل أنت الذي ستُفسد خُطَّتي وأنت تراني أتضوَّر جوعًا!

الثُّعبـان: وهل هـذان العصفـوران الصغيران يَسُـدَّانِ جُوعَـكَ أيُّها المكَّار؟!

الثعلب: لم أجد غيرَهما.. إنني جائع منذ الأَمْسِ!

الثعبان: أنا جائع مثلُك، فإما أن نقتسِمَهما أو نَفقِدَهما.

الثعلب: لا بأس، أنا موافق.

الثعبــان: ادْعُ أحَدَهما ليأتيَ إليكَ، وأنا سَــأَصِلُ زَحْفًا للآخَرِ فألتهِمُه وقتَ التهامك للآخَرِ.. هيَّا بسرعة.

يعود الوالدان إلى العُشِّ، فلا يجدان عُصفورَيْهما الصغيرينِ.. تبكي أمُّهما من شِدَّة الخوف عليهما.

يصبِّرُهــا أبوهما قائلاً: هيَّا لنبحث عنهما ســريعًا قبــل أن يُصيبَهما مكروه.

يحلِّق الوالدانِ فوق الأشجار بسرعة كبيرة، فترى الأمُّ من بعيد ابنتَها جنى واقفةً على غُصن أعلى الشجرة، ورأت الثعبان يزحف مقترِبًا من جنى يَستعِدُّ لالتهامها.

ونظر الأب فرأى الثعلبَ تحت الشــجرة يَنظُر لأعلى، وشــادي يحلِّق لأسفلِ الشجرة في اتِّجاه الثعلب.

تنطلق الأمُّ بسرعة فتخطف جنى من بين فَكَّي الثعبان، ويَنطلِق الأب فيختطف شــادي من بين فَكَّــي الثعلب المكَّار.. ثــم يعود الجميع إلى عُشِّهم في أمان.

السفينة والعواصف

سـافر أحمدُ مع أبيه على سفينة؛ إذ إنه وَرِثَ من أبيه التمتُّع بالتأمُّل فـي البحر ومياهِه وما فيه، خاصةً وقتَ السَّـحَرِ إلى طلوع الشـمس، فيشعر أن قلبه يطير فرحًا وهو يذكر الله، ويتفكَّر في قُدْرَتِه وخَلْقِه.

فجـأةً وهو في مُتْعَتِه الجميلة، أحسَّ أن السـفينة تهتزُّ بشـدَّة، فإذا

بريح شديدة تهبُّ على السفينة.

تجمَّع الناس على سطحها في اضطراب وفزع شديد، فزاد اضطراب السفينة، فأتاه أبوه فاحتضنه قائلاً له: «لا تفزع يا أحمدُ».

ردَّ أحمدُ بابتسامته الصافية: لا تقلقْ عليَّ يا أبي.

فإذا بمكبِّرِ الصَّوْتِ في السفينة يُجَلْجِلُ: نرجو الهدوء، إن حركة الركَّاب بهذه الطريقة سيُصَعِّب الأمرَ علينا في العمل على استقرار السفينة.

فإذا بالهَلَعِ ينتشر بين الركَّاب، وكأن القُبطانَ طلب منهم الاضطراب لا الهدوء، فازداد اضطراب السفينة جدًّا، وشعر كلٌّ من عليها بالخطر!

نظر أبو أحمدَ إلى أحمدَ قائلاً: إن فزع الناس بهذه الطريقة أمر سيِّئ، إذا حدث سوءٌ - لا قدَّر الله – فإنك تجيد السباحة كما علَّمتُك.

ابتسم أحمدُ قائلاً: لن يحدث سوء إن شاء الله.

ثم الْتَفَتَ إلى الركَّاب مناديًا: «إذا أردتم النجاة، فافعلوا مثلي».

فتعجَّب الناس، وأخذوا ينظرون إليه بدَهْشَةٍ.. ماذا سيفعل هذا الطفل لينجو؟!

وقف أحمدُ أمام صُنْبُورٍ على سطح السفينة، وبدأ يتوضَّأُ وهم ينظرون إليه.

غسل يَدَيْهِ وتَمَضْمَض واستنشق، ثم غسل وجهه، فتبسَّم أبوه وتقدَّم إلى صنبور آخرَ بجواره.

ابتسم أحمد لأبيه وهو يغسل يديه إلى المِرْفَقَيْنِ، وعيونُ الناس تملؤها الدهشة وتسأل: أين النجاة في ذلك؟!

فتقدَّم أحدهم إلى صنبور آخَرَ، وكان أحمدُ قد مسح على رأسه

وأُذُنَيْـهِ، ثم غسـل قَدَمَيْهِ، ثـم توجَّه إلى الناس مبتسـمًا قائلاً: هيَّا إلى النجاةِ، هيَّا إلى الصلاة.

أخذت الكلمة بقلوبهم، وما زالوا في دهشتهم متحيِّرينَ.

قال أحدهم: «صدقتَ؛ الهرولةُ والرُّعب لن يزيد السفينة إلا اضطرابًا».

بـدأ الرُّكَّاب يُفيقون مـن أثر الصَّدْمَـة والفَزَعِ، وأخـذ الهدوء يظلِّل السـفينة، فتقدَّم أبوه ليصلِّـي بهم، والركَّاب يشـاهدون الموقف، بين متوضِّئ، ومصلٍّ، ومراقبٍ للمشهد في دهشة، منتظرٍ دَوْرَه للوضوء.

أخذ أبـو أحمدَ يتلو القـرآن بصوته الجميل، والنـاس ينضمُّون إلى

الصلاة خَلْفَه، وما زالت السـفينةُ تتمايل، والرياحُ تعصف، والسَّـكينة تتنزَّلُ على القلوب المتعلِّقة بالله.

فأطال أبو أحمدَ بهم الصلاة، فيركع طويلاً يذكر الله ويدعو بالنجاة، ثم يقف يدعو، ثم يسجد يدعو ويذكر ربَّه.

أخذ القبطان يعالج السـفينة وسَطَ الرياح العاصفة في هدوء، حتى هدأت الرياح، فسلَّموا من الصلاة.

انطلق مكبِّرُ الصوت: اللهُ أكبرُ ولله الحمدُ، زال الخطَرُ، ونجت السفينةُ.

فالتفَّ الركَّابُ حول أحمدَ يعانقونه ويشكرونه.

نَهْرٌ لا يَجِفُّ

عاد عُمَرُ من المدرسة والحُزْنُ مرسومٌ على وَجهِه، وكأنه قَمَرٌ حزين، فاستقبلتْه أمُّه بلهفة: ما لك يا حبيبي؟

- لا شيءَ يا أمِّي.

– لا بد أن هناك ما أَحْزَنَكَ.. توضَّأ وصلِّ، وسيَذهَبُ ما بك إن شاء الله.

يفعل عمرُ ما أمرتْه به والدتُه، فتهدأ نفسُه.

أثنــاء تناول الغداء ينظر إليه والده، فيُدرك أن هناك ما يَشــغَلُ بالَه، فيسأله:

– ما لك يا عمرُ؟

– صديقي علاءٌ انقطع عن الدراسة.

– لماذا؟

-إنه يتيمٌ كما تَعْلَمُ يا أبي، وليس لهم عائلٌ.

- وما الذي جَدَّ؟ لقد تُوفِّيَ أبوه رَحِمَه الله من سنتينِ!

- الذي جَدَّ هو وفاةُ جَدِّي رحمه الله منذ ثلاثة أشهر.

أبو عمرَ بدهشة: وما علاقةُ جدِّك بهذا؟!

تَنهَمِرُ الدموعُ على وَجْنتَيْ عمرَ.. يَحتضِنُه أبوه ويهدِّئه، ويطلب منه شرح الأمر بهدوء.

عمـر: كان جَـدِّي رحمه اللـه يتعاهد كثيـرًا مـن المحتاجين، وكان يأخذنـي كلَّ يوم بعد صلاة الفجر نسـير معًا، نذكر أذكار الصباح في هدوء الفجر الجميل، ثم يُرسـلني إلى إحدى الأسـر الفقيرة بمظروف فيـه مبلغٌ من المال، فأُلقِيه إليهم من أسـفلِ الباب، وقد أخذ مني عهدًا أن يَظَلَّ ذلك سِرًّا بيننا.

أبو عمر: كان أبي رحمه الله نهرًا جاريًا من العطاء.

عمر: نعم، ومنهم صديقي علاء، ولكن مات جَدِّي فجَفَّ النهر.

استجمع أبو عمرَ قواه، وابتسم لعمرَ قائلاً: هل تَقبَل صُحبتي لنقوم بما كنتَ تقوم به مع جدِّك؟

تهلَّل وجه عمر، وابتسمت أمُّ عمر قائلة: وأنا ثالثُكم، أَمْ تُريدانِ فعلَ الخير دوني؟!

قال له أبوه: دُلَّني على المحتاجين الذين كان يتعاهدُهم جَدُّك، فلا بدَّ أن منهم من هو في كرب شديد.

❖ ❖ ❖

هبَّت نَسَـماتُ الفجر الرائعة، فشَعَر عمرُ وسَط الظلامِ أنه يَجُولُ في

السـماء، وهو بصُحبة والده ذاهِبَيْنِ لفِعل الخير، فيَشْـعُرُ عمرُ أن قلبَه يتفتَّـح كالزَّهـرة مع ضوء الصبـاح، ثم يبدأ عمر في مَهَمَّته الشـائقة، ويبدأ بمنزل صديقه علاء.

ينظر أبو عمرَ إلى ولده فيجد السـعادة تتراقص على وجهه، يبتسم له قائلاً: الحمد لله أنْ جعلنا من أهل الخير.

– نعم يا أبي، الحمد لله؛ ولكن يا أَبَتِ، ألا يُوجَدُ نهرٌ لا يجفُّ؟!

ابتسم أبو عمر: لا تقلق أيُّها الولدُ الصالح، هناك نهرٌ لا يَجِفُّ.

تهلَّل وجه عمر: ما هو؟

– الحمد لله، لقد أنعم الله علينا بالرزق الوفير.. نشتري مبنى سكنيًّا مثـلاً، ونجعلُه وَقْفًا لله تعالى يُدِيره من نَثِقُ بهم من أهل الخير، وكلَّما منَّ الله علينا من فضله ووسَّع علينا، نوسِّع هذا النهر.

عمـرُ وقلبُه تملـؤه الفرحةُ: مـا أَرْوَعَ النَّهْرَ الجـاريَ بالخير الذي لا يجفُّ!